نشأة علم النحو

إن اللغة العربية تتعدد علومها وتتنوع، ويحتاج إليها أهل الإسلام حاجة أكيدة، لعلاقة تلك العلوم بفهم كتاب الله، الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد(ﷺ) ، ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، ولعلاقتها بفهم نصوص الحديث النبوي الشريف، الذي نطق به أفصح من نطق بالضـــــــاد،وأبلغ من قال أنا عربي من العباد.

قال ابن خلدون رحمه الله في المقدمة: الفصل الخامس والأربعون في علوم اللسان العربي، أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة.

- فحفظ اللغات علينا فرض كفرض الصلاةِ

فلا يحفظ الديـن إلا بحفــظ اللغـاتِ

قال سيبويه : (النحو في الكلام كالملح في الطعام) .

- وعرف صاحب (كشاف اصطلاحات الفنون) علم النحو إذ قال: علم النحو، ويسمى علم الإعراب أيضا ، وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه من حيث هو، أو بوقوعها فيه .. والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والإفهام به.
- والحقيقة أن بوادر اللحن قد ظهرت على قلة وندرة أيام رسول الله ، فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلا لحن بحضرة النبي فقال النبي : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " .

كما روي عن رسول الله قوله: " أنا من قريش، ونشأت في بني سعد، فأنى لي اللحن " .

فإذا كان اللحن في التخاطب بين العرب هو الدافع الأول إلى تدوين اللغة وجمعها، واستنباط قواعد النحو وتصنيفها، فإننا نتعرف من خلال الحديثين السابقين وجود كلمة اللحن وتداولها، وإن لم ينقل إلينا ما الخطأ اللغوي الذي قصد بها آنذاك.

- لكن المصادر في تاريخ علم النحو تذكر لنا أن عمر رضي الله عنه مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: آنا قوم متعلمين (والصواب أن يقولوا: متعلمون) فأعرض مغضبا وقال: والله خطؤكم في لسانكم أشدُّ علي من خطئكم في رميكم، سمعت رسول الله يقول: " رحم الله امرءواً أصلح من لسانه " .

❖

إلا أن أشهر القصص في تاريخ النحو ما أورده الأصفهاني في الأغاني، إذ دخل أبو الأسود الدؤلي في وقدة الحر بالبصرة على ابنته، فقالت له: ياأبت ما أشدُّ الحر؟ فرفعت كلمة (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهرا ناجر، فقالت: ياأبت إنما أخبرتك ولم أسألك، والحقيقة أنه كان عليها أن تقول إذا أرادت إظهار التعجب من شدة الحر والإخبار عنه ماأشدَّ الحر.

❖ **مظاهر نشأة النحو**

١- جمع القرآن الكريم وتوحيد نصه .

٢- إقراؤه وتفسيره (قراءته قراءة صحيحة ، والحفظ الصحيح، والعمل به ، والتفسير باللغة ا لعربية الفصيحة والبلاغة والصفاء والنقاء).

- ٣- نقطه نقط الاعراب :
- أ- اللغة كانت معربة
- ب- الخط الذي كتبت به المصاحف كان غير معرب .
- ج – دور أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) بِحَثٍ من الخلفاء .
- قال: « خُذ المصحفَ ، وصبغاً يخالف المداد ، فإذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه ، وإذا ضممتُ فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف ، فان اتبعتُ شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين .....» .
- نقطه نقط الإعجام :
- إذ اختلط الحرف على القراء في تشابه الخط واختلاف النطق .
- فقد عسر هذا الشئ على المسلمين غير العرب مما أدى الى نشؤ التصحيف .
- فانتدب الحجاج العلماء بالتفكير ووضع طريقة تخلصهم من هذه المشكلة .
- فهب نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) لهذه الدعوة فوضع نقط الإعجام .
- فلما خيف اللبس بين نقط الاعراب ونقط الاعجام ، أخذ المسلمون المصحف فقط بنقط الاعجام بلون مختلف .
- الى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) وحول هذه النقاط الى الحركات .

- **واضع النحو :**
- لما سطع نور الإسلام وانتشر خارج الجزيرة العربية ودخل الناس في دين الله أفواجا اضطر العرب للإختلاط بغيرهم من الأعاجم في سائر الأمصار وتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضا من أجل التجارة والمنافع والتعليم وغير ذلك فسمع العرب من الأعاجم والعكس فنتج عن هذا التخاطب والإصغاء بين الطرفين فساد في اللغة وظهر اللحن وشاع بين أوساط الناس ، فهب ألوا الأمر من المسلمين ينظرون في اللحن ويحذرون منه .

- فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : "سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قرأ فلحن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشدوا أخاكم " صححه الحاكم ووافقه الذهبي كما في المستدرك (٢/٤٣٩) وضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/٣١٥) رقم (٩١٤) لجهالة من روى عن أبي الدراء .

- وفي معجم الأدباء أيضا (١/٢٣) "وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن "

وروى الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢٨) رقم (١٠٨١) " أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يضرب الحسن والحسين على اللحن "

- " وكان ابن عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن " صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد صفحة (٣٢٨) رقم (٦٧٦)

- وفي معجم الأدباء للحموي (١/٢٣) (عن الخليل بن أحمد، قال: سمعت أيوب السختياني يحدث بحديث فلحن فيه فقال: أستغفر الله" يعني : أنه عد اللحن ذنبا) .
-

فهذه الأمثلة تدل على أن الأوائل كانوا ينظرون في اللحن ويحذرون منه ومن هنا خاف أولوا الأمر أن يتسرب هذا اللحن إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ففكروا في وضع قواعد يهتدى بها لحفظ اللغة العربية من خطر اللحن تكون نبراسا يرجع إليه فبرز إلى الوجود هذا (النحو) .

- ومما لا شك فيه أن ظهور اللحن وانتشاره وزحفه إلى القرآن الكريم والحديث النبوي هو الباعث على تدوين هذا النحو .
- **اختلاف العلماء في من أشار بوضع النحو**
- ١- قيل الذي ابتدأ هذا العمل هو أبو الأسود الدؤلي بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- ٢- وقيل بإشارة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنه دفع إلى أبي الأسود رقعة كتب فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبا عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما افاد معنى وقال له انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك) ومن حينها سمي بالنحو .

- ٣- وقيل بإشارة (زياد بن أبيه) وكان أبو الأسود معلم أولاده وهو والي العراق حينئذ .
- وقيل إن أبا الأسود هو الذي بدأ هذا العمل بنفسه حين قالت له ابنته (يا أبت ما أحسنَ السماءِ) فقال : أي بنية (نجومها) فقالت له (لم أرد أي شيء أحسن ؟ وإنما تعجبت من حسنها . فقال إذن فقولي : (ما أحسنَ السماءَ) وبسبب هذا اللحن وضع كتابا .

- ومهما قيل فالنتيجة المؤكدة أن أبا الأسود (ظالم بن عمرو الدؤلي) هو الذي بدأ هذا العمل سواء أكان بإشارة من عمر بن الخطاب أم علي بن أبي طالب أم(زياد بن أبيه) أم بتفكيره هو

- لكن أبا الحسن القفطي في كتابه إنباه الرواة (١/٣٩/٤١) يرجح أن أول من وضع النحو هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال : (الجمهور من أهل الرواية أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم قال : وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي) ، ولعل ما نقله في إنباه الرواة (١/٥٠) (أنه قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم ؟ ـ يعنون النحو ـ فقال : لقنت حدوده من علي بن أبي طالب يرجح كفة علي رضي الله عنه)

- وقال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري في أول كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء : صفحة (١٧) (اعلم أيدك الله بالتوفيق وأرشدك إلى سواء الطريق أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده ، وحدّ حدوده ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي).

- وكان أبو الأسود (ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي) من كبار التابعين ومن القراء لبقا ذكيا حاضر البديهة كما كان شاعرا مفلقا قال ابن الأنباري : في نزهة الألباء صفحة (١٩) (وكان أبو الأسود ممن صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان من المشهورين بصحبته ومحبته ومحبة أهل بيته) .

- قال القفطي في إنباه الرواة (١/٥٣-٥٥) (واستعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة وتوفي فيها سنة تسع وستين وهو ابن خمس وثمانين سنة)

- وبهذا فقد انقسم الدارسون في هذه المسألة على فريقين بدلالة الروايات:

- الأول : المسلمون الأوائل لم يفكروا بهذه المسألة ، ومنهم الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام والتابعون .....الى نقط المصحف نقط الاعراب ونقط الاعجام.

- أما الفريق الثاني فقد اختلفوا في واضع النحو وواضع ابوابه، وكما ياتي :
- ١- إن واضع النحو هو الخليفة عمربن الخطاب (.... وقصة قراءته : إن اللّه برئ من المشركين ورسوله)
- ٢- واضعه الخليفة علي بن أبي طالب عندما سمع أعرابيا يقرأ: قوله تعالى (لا يأكله إلا الخاطئين ..)
- ٣- هو ابو الأسود الدؤلي بعد أن طلب منه والي البصرة ذلك .
- ٤- هو أبو الأسود الدؤلي بعد سماعه ابنته تقول : يا أبتِ ما أحسنَ السماءِ؟ قال نجومها ..... .
- ٥- هو عبدالرحمن بن هرمز الأعرج + ونصر بن عاصم الليثي ....
- ٦- ويقال أنه أبو الأسود الدؤلي ، بعد أن جاء في (الفهرست) لابن النديم : إن محمد بن اسحاق وجد في خزانة رجل يدعى محمد بن الحسين كتباً كثيرة ، ومنها قمطاراً ضمنها (٤) أوراق في أصول النحو من وضع أبي أسود الدؤلي، وهي من الورق الصيني، وهي مكتوبة بخط يحيى بن يعمر ، وتحته بخط عريض هذا خط علان النحوي ، وتحته هذا خط النضر بن شميل (١٢٢-٢٠٤ هـ)

- **رأي المستشرقين :**

- ١- فون كريمر : الذي قال إن النحو من وضع الأجانب وليس من العرب ، بدليل أنهم احتاجوها .

- ٢- يؤيد ذلك الدكتور مصطفى نظيف: يقرر أن يعقوب الرهاوي كان معاصرا لأبي الأسود الدؤلي وهو من يعاقبة السريان ، وتتلمذ على يدٍ (سويرس سيبوخت) وبرع في اللاهوت والنحو والتأريخ ، وألف في النحو السرياني كتاباً اقتبس منه الحركات والنقط .

- ٣- وهو الرأي المعتدل لأحمد أمين وابراهيم مصطفى : ملخصه :
- أ- فالأول يقول أن هذا النمط هو بداية المعيارية وهو يمكن أن يكون لأبي أسود .
- ب- الثاني يقول : إن عمله هو في مجال النحو نقط الاعراب وضبط المصحف.

- **دوافع نشأة النحو**
- ١- الدافع الديني
- ٢- الدافع الاجتماعي
- ٣-الدافع الاقتصادي
- ٤- الدافع اللغوي القومي : إذ كان في بلاد العرب عند نشؤ اللحن ووقوعه في اللغه العربيه لغات متعدده ، وهي :

- أ-اللغة المحكية في الحواضر حتى نهاية القرن الهجري الأول ، وهي اللغة المثالية وتسمى (اللغة الأدبية) لغة الشعر والخطب والمواعظ وما اليها من فنون الأدب ، وهذه متقيدة بالاعراب وضوابطه فلا تخل بشئ منه ، ولا تستخدم الظواهر اللهجية الصعبة مثل :
- - الكشكشة : لصق الشين بالكلمة بعد كاف الخطاب ، رأيتك = رأيتكش(لغة ربيعة).
- - العجعجة : جعل الياء المشددة جيماً ، تميميٌّ = تميمجٌ (لغة قُضاعة).
- - العنعنة : جعل الهمزة المبدؤة عيناً ، أشهد أنك رسول الله = أشهد عنك رسول الله (تميم وقيس)

- ب- اللغه البدويه التي كانت تستخدم في البوادي والتي كانت تراعي أصول الاعراب ، وهي التي اعتمد عليها النحاه واللغويون.
- ج- لغه الحواضر المحكية بعد القرن الأول للهجرة ، وهي التي كانت تستخدم في مكة والمدينة المنورة والطائف والحيرة وأطراف الشام .